

الإستشراق وترجمة معاني القرآن الكريم.
الإستشراق الألماني أنموذجا.

Orientalism and translation of the meanings of the Holy Quran.

German Orientalism as a model.

بودن غانم¹

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي- تيبازة. (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/10/09؛ تاريخ القبول: 2022/10/27 تاريخ النشر: 2022/10/31

ملخص:

إن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، و دستوره لإصلاح الخلق منذ أن نزل إلى أن تقوم الساعة، و هو يمثل قاعدة اللغة العربية و تاجها و خير دالٍ عليها موجه إلى مختلف مناطق الأرض لتجسيد رابطة الأخوة بين المسلمين، لذلك فهو كامل في لغته و علومه المتصلة به و هو ما يميز الحضارة الإسلامية. و قد اهتم المستشرقون كثيرا بدراسة الفكر العربي و الإسلامي في مختلف مجالاته كالقرآن الكريم و السنة النبوية و الآداب العربية لمختلف العصور للاستفادة ولمواجهة المسلمين في إطار الصراع الحضاري الذي لا يزال مستمرا لغاية اليوم، فلم تقتر همة المستشرقين على اختلاف جنسياتهم يوما عن الاهتمام القرآن الكريم حيث تنوعت طرقهم و مسالك اهتماماتهم به ترجمةً و تصنيفاً و بحثاً، و كان همهم التدليل على الاختلاف في القراءات القرآنية بأنها حسب هوى القراء، و تفنيد القصص القرآني و نقد إلهيته بنعته بالقرآن المحمدي.

و تهدف هذه الورقة البحثية لتتبع التطور التاريخي للإستشراق و مواضيعه المختلفة، و تنطلق لدور المستشرقين الألمان كأنموذج في ترجمة القرآن الكريم و إبراز مدى موضوعيتهم في ذلك و أهدافهم و مختلف أساليبهم، ففي حين نوه البعض به و أنصفه مبينا فضله على الحضارة الإنسانية نجد البعض الآخر قد أمعن في الافتراء عليه من خلال نقل معانيه على غير حقيقتها.

الكلمات المفتاحية: قرآن كريم؛ ترجمة؛ استشراق؛ مستشرقون ألمان؛ معاني،

Abstract: The Holy Quran is the miraculous word of God and the basis of the Arabic language, directed to the various regions of the earth to embody the brotherly bond among Muslims, so it is complete in its language and sciences. Orientalists have paid much attention to studying Islamic thought in its various fields, such as the Holy Quran and the Prophet's Sunnah, to benefit from them, or to confront Muslims. And refutation of Quranic stories and criticism of its divinity. This research paper aims to track the historical development of Orientalism and its various topics, and it touches upon the role of German Orientalists in

translating the Holy Quran and highlighting the extent of their objectivity in this and their various methods.

Keywords: Holy Quran; Translation; Orientalism; German Orientalists; meanings,

Résumé : Le Saint Coran est la parole miraculeuse de Dieu et la base de la langue arabe, dirigée vers les différentes régions de la terre pour incarner le lien fraternel entre les musulmans, il est donc complet dans sa langue et ses sciences. Les orientalistes ont accordé beaucoup d'attention à l'étude de la pensée islamique dans ses divers domaines, tels que le Saint Coran et la Sunnah du Prophète, pour en tirer profit, ou pour confronter les musulmans, ainsi que la réfutation des récits coraniques et la critique de sa divinité. Ce document de recherche vise à suivre le développement historique de l'orientalisme et de ses différents thèmes, et aborde le rôle des orientalistes allemands dans la traduction du Saint Coran et met en évidence leur objectivité dans ce domaine et leurs diverses méthodes.

Mots-clés : Le Saint coran; Traduire; Orientalisme; orientalistes allemands; significations,

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان علاقة الغرب الأوربي بثقافة وحضارة الشرق الإسلامي، حيث اهتم الأوربيون كثيرا بدراسة الفكر العربي والإسلامي في مختلف المجالات وفي كل مراحل التاريخ للاستفادة منها كروافد ثقافية وحضارية، ولإستخدامها في مواجهة المسلمين في إطار الصراع الحضاري الذي لا يزال مستمرا، ومن بين المواضيع التي عكف المستشرقون على دراستها القرآن الكريم شرحا ونقدا لأجل التشكيك في قدسية كتاب الله، وعليه تتمحور إشكالية الورقة البحثية حول كيفية تناول المستشرقين الألمان للقرآن الكريم دراسة وترجمة، مع إبراز طرقهم وأساليبهم في ذلك، فبقدر ما كان البعض موضوعيا بعض الشيء في ترجمته للقرآن الكريم كان همُّ الغالبية التدليل على الاختلاف في القراءات القرآنية، وتقنيده القصص القرآني ونقد ألوهيته بنعته بالقرآن المحمدي نسبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

1- مفهوم الاستشراق:

أ. لغة:

مشتق من كلمة شروق الشمس، و شرّق أخذ من ناحية الشرق، وحرف السين في كلمة الإستشراق يفيد الطلب أي طلب دراسة ما في الشرق، (فوزي، 1998، ص 29-30) بمعنى الاستزادة من علوم الشرق و معارفه بحكم ازدهار الحضارة العربية والإسلامية، ولكلمة الشرق مدلول معنوي إذ يوضح أن معناها يتمركز حول طلب العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه، واستعمالها كدلالة على الإستشراق يعني اعترافا بالعلم الذي يُطلب من هذه المنطقة، وأن وصفها بالشرق يعني في المقام الأول أنها المنطقة التي أشرق فيها شمس المعرفة و ليست الشمس بمعناها الحسي المعروف. (النعيم، 1997، ص 15-16) ومن خلال التعريف اللغوي فإن صفة المستشرق ينبغي أن تقتصر على من ليس شرقيا، لأنها تصف حالة طلب شيء غير متوفر في البيئة التي نشأ فيها الطالب، (النعيم، 1997، ص 16) أي علوم غير موجودة في الدول الغربية.

ب- إصطلاحا:

هو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم، (فوزي، 1998، ص 30) كما هو ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته،(النعيم، 1997، ص 16) فهو دراسة علماء

الغرب للشرق في جوانبه المتعددة، حيث الشرق كان هو الموضوع والغرب هو الفاعل والمحرك.
(عويمر، 2013، ص 5)

والمستشرقون هم جماعة العلماء من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءاً من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق، ومن اختص منهم في دراسة آداب الشرق الأوسط وتاريخه وعقائده أطلق عليهم اسم المستعربين. (فوزي، 1998، ص 30)

2- أهداف الاستشراق:

أ- الدينية:

يعتبر العامل الديني أهم محرك للاستشراق في إطار الصراع الحضاري بين الإسلام والمسيحية كمحاولة لفهمه واحتواء توسعه، فقد بدأ الغرب في دراسة اللغة العربية في أديرة الرهبان باعتبارها وسيلة نقل التراث العربي والإسلامي لوضع خطط مواجهة الإسلام وإيقاف التأثير الإسلامي في العالم الغربي وخدمة مشروع تنصير المسلمين حيث تعاونت الكنيسة مع ملوك أوروبا على شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم، (النعيم، 1997، ص 18) حيث شكل الدين الإسلامي منذ ظهوره مشكلة لأوروبا المسيحية التي نظرت إلى المسلمين وكأنهم أعداء يقفون على حدودها ويهددون ثقافتها، (الحيدري، 2010، ص 50) وكان أول عمل في مجال الترجمة هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية لأول مرة سنة (538هـ/ 1143م) من قبل الانجليزي (روبرت أوف كيتون)، وذلك للوقوف على مضمونه بهدف الرد على المسلمين (الأعداء) من خلال نقض عقائدهم وبيان ضعفها، (فوزي، 1998، ص 33) فدراسة الإسلام في مختلف علومه كانت لضربه أكثر من الاستفادة منه كدين عالمي، فنجد أغلب المستشرقين ينطلقون من هذا المبدأ، فالمستشرق الهولندي (هادريان ريلاند) يؤمن بأنه يتحتم على المرء أن يعرف الإسلام جيّداً لكي يستطيع أن يحاربه بطريقة فعالة. (عميرة، 1992، ص 45)

فقد شكل قيام الدولة الإسلامية خطراً على أوروبا، خاصة مع ضعف التراث العقدي والفكري الأوربي الذي لم يكن كافياً لمجابهة الإسلام كقوة عقيدية وفكرية وسياسية حققت انتصارات كبرى، (فوزي، 1998، ص 32) مما جعل الدول الغربية تعمل للحيلولة دون دخول المسيحيين للإسلام خاصة بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية سنة 1453م عاصمة الامبراطورية البيزنطية، وهذا ما جعل الكنيسة تشن حرباً انتقامية على الإسلام فاتخذت من الاستشراق أداة للطعن فيه، (النعيم، 1997، ص 20) ومحاولة لنقل المعركة مع الإسلام من ساحة القتال إلى الغزو الثقافي، (فوزي، 1998، ص 34) وهذا يؤكد أن الاستشراق نشأ في أحضان الكنيسة وكان الكيد للإسلام أهم أهدافه. (عويمر، 2013، ص 16)

ب- السياسية والاستعمارية:

لقد وجدت الدول الغربية في الاستشراق وسيلة لتحقيق أطماعها السياسية التوسعية في الفترة الحديثة، فحدث ترابط بين المستشرقين وحكوماتهم الأوربية لتوظيف خبرتهم و ثقافتهم عن البلدان التي يدرسونها من أجل توطيد سيطرتها على المنطقة، (فوزي، 1998، ص 34) حيث جند الاستعمار طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه فنشأت رابطة بين الاستشراق والاستعمار، (النعيم، 1997، ص 22) ففي القرن السابع عشر ازدادت حاجة أوروبا إلى أن تعرف اللغة العربية معرفة أوثق تتناسب مع مصالحها في المنطقة، فإلى جانب الاتجاه العسكري الذي يدعو لاستعمال القوة في الشرق (الاستعمار) كان اتجاه المقاومة الثقافية (التنصير) فأصبح الاستشراق في هذا القرن مدعوماً بالمصالح السياسية الاستعمارية، بل أن رواده كانوا دبلوماسيين في الشرق. (عميرة، 1992، ص 44)

وكان الهدف السياسي للاستشراق يتمثل في السيطرة على الأفكار وزرع التفارقة في وحدة الصف الإسلامي، (الحيدري، 2010، ص 50) حيث عمل على إحياء النزاعات العصبية، و على إثارة الخلافات المذهبية والفقهيّة وتضخيمها لأجل إثارة الفتن بين المسلمين، (النعيم، 1997، ص 23) ودفعهم إلى إنكار مقوماتهم الثقافيّة والروحية وماضيهم والاستخفاف به لتسهيل إقناعهم باعتماد الفكر الغربي الأوربي.

وقد عمل المستشرقون على معرفة أفكار وتوجهات المسلمين من خلال الاتصال بالمسؤولين لبحث الدسائس والتفارقة بين الدول العربية والإسلامية بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة من خلال نشاط الملحقين الثقافيّين في السفارات الغربية. (الدليمي، 2010، ص 3) فالتراث الاستشراقي كان بمثابة الدليل للاستعمار لفرض سيطرته على الشرق، وكانت المعرفة بالأجناس المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلا و مجديا، إذ أن المعرفة تمنح القوة، والمزيد من القوة يتطلب المزيد من المعرفة، فهناك باستمرار حركة جدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية. (النعيم، 1997، ص 22)

ويظهر هذا من خلال بعض الدراسات الاستشراقية التي تحاول تأصيل نزعة محاكاة الغرب في العقل الشرقي من خلال تشجيع المثقفين في الارتباط بأوربا ثقافةً ولغةً وتقاليدياً، والابتعاد عن الهوية الثقافيّة والحضارية المشرقية، (فوزي، 1998، ص 35) والتشكيك في أصالتها انسجامها إذ يركز المستشرقون على بعض القضايا السياسية في التاريخ الإسلامي ويفسرونها تفسيراً غربياً بنزعة انفصالية عنصرية لتمزيق الوحدة الوطنية وبث الفتن الطائفية. (فوزي، 1998، ص 35)

والملاحظ أن الكثير من المستشرقين لا ينكرون أهدافهم السياسية المتمثلة في خلق تبعية فكرية غربية لدى أبناء الشرق، فهذا المستشرق (برنارد لويس) يقول: "إن ما تعودنا عليه في الغرب هو أن يزداد تمسكنا بمتلنا الغربية كلما ازداد اتجاه الشرقيين إلينا، وذلك بجعل أنفسنا مثالا للفضيلة والتقدم الحضاري، فإذا تشبه الشرقيون بنا فذلك جيد والعكس يعد عندنا شراً، فالتقدم هو في محاكاتنا والتقهقر والسقوط هو في عدم التشبه بنا" (فوزي، 1998، ص 35) وهذا ما يجعلنا تحت الاختراق الثقافي من خلال نجاح العقلية الأوربية الاستشراقية في فرض تشكيلتها وألبيتها على التحقيق والنقد والسيطرة على مصادر التراث العربي الإسلامي. (عويمر، 2013، ص 14)

ج- العلمية:

كانت هناك أهداف علمية وراء الاستشراق لدراسة الإسلام وفهم علومه وحضارته لكن بنسبة ضئيلة من مجموع الدراسات المخصصة للشرق، فهناك من دفعته رغبته العلمية الصادقة إلى احتراف دراسة التاريخ الإسلامي، ومحاولة التعرف على الحقيقة قدر المستطاع وحسب جهدها و اجتهادها في فهم وقائع التاريخ. (فوزي، 1998، ص 35)

وقد قدم مستشرقون كثيرون خدمات جليلة للثقافة الإسلامية، خاصة المدرسة الاستشراقية الألمانية حيث قاموا بنفض الغبار عن العديد من كتب التراث الإسلامي، ونشره بشكل واسع في صورته الأصلية أو مترجما إلى اللغات الأوربية المختلفة، وعرّفوا العالم الغربي بالإنجازات الحضارية للمسلمين، (عويمر، 2013، ص 79) التي كانت إنصافا للحضارة العربية الإسلامية وتثمينا لمجهودات روادها.

3- التطور التاريخي لظهور الإستشراق:

هناك اختلاف بين الباحثين حول تحديد تاريخ ظهور الإستشراق، لكن هناك محطات بارزة تعكس ملامح الفكر الإستشراقي، فعلاقتنا كمسلمين بالغرب قديمة تبدأ مع بداية رسالة الإسلام، خاصة وأن هذا العالم الغربي الذي كانت تمثل جزء منه الدولة البيزنطية يعيش جغرافيا في الشرق العربي، وتواجد اجتماعيا

واقتصاديًا في شمال إفريقيا والبحر المتوسط، فالاحتكاك الحضاري كان قائما بين العرب والروم وتعمق مع الفتح الإسلامي للشام، (عويمر، 2013، ص 19) ومن خلال هذا الاحتكاك عنى الأوربيون بحضارة الشرق وثقافته وجمع المعلومات الواسعة عنه، وبدلوا جهودا مضيئة في ذلك. (الحيدري، 2010، ص 50)

وبناءً على هذا الاحتكاك يُرجع البعض الإستشراق إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس (النعيم، 1997، ص 17) أين كانت مركزا حضاريا وعلميا مشعًا على أوروبا التي كانت تعيش عصور الظلام، فأوفدت أبناءها لدراسة مختلف العلوم باللغة العربية في الحواضر العلمية بالأندلس، بينما يوجد من ربطه بالحروب الصليبية ومحاولة الأوربيين وقف التوسع الإسلامي حيث أن هذه الحروب لم تبق عسكرية بل أخذت أبعادا أخرى، فاكتشف المحاربون الصليبيون من خلالها صورا مغايرة للأفكار التي كانت تروج لها الكنيسة عن المسلمين باعتبارهم وحوشا وهمجيين، فلما احتكوا بهم وجدوا غير ذلك، وأكثر من ذلك تأثروا بالعادات والتقاليد العربية والإسلامية، (عويمر، 2013، ص 20-21) فهذه المواجهة العسكرية فتحت المجال لدراسة الحضارة العربية سواء بدافع الإعجاب بها والاستفادة منها أو بقصد تغيير أسلوب المواجهة إلى المجال الثقافي بعد فشل الاحتواء العسكري للمسلمين.

وذهب البعض إلى أن بداية الإستشراق تعود إلى القرن الثاني عشر ميلادي حين كانت أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة 538هـ/1143م (فوزي، 1998، ص 30) تحت تأثير الأفكار المنادية بمعرفة علوم الإسلام، ورغم أن الكنيسة منعت تداول الكتاب، (عويمر، 2013، هامش 2، ص 30) إلا أنه شكل الإرهاصات الأولى للإستشراق حيث أدرك الأوربيون ضرورة الاتصال ثقافيا بالحضارة الإسلامية، وضرورة تعلم اللغة العربية والتسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاجة للرد عليهم، وظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عقد مجمع فيين سنة 1312م الذي أوصى بأن تُدرس العربية في كبرى المراكز العلمية الأوربية. (عميرة، 1992، ص 36)

ولذلك يؤرخ الغرب المسيحي لبدء الإستشراق الرسمي بصور قرار مجمع فيينا بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأوكسفورد وبولونيا (فوزي، 1998، ص 31) ويدخل هذا القرار في إطار مقاومة المسلمين ثقافيا عن طريق دعوة الناس إلى النصرانية بالعربية مباشرة، ويقوم بذلك خريجو المدارس المذكورة، لكن هذا العمل تعثر لجهل الأوربيين بالمسلمين ولغتهم. (عميرة، 1992، ص 37)

وفي القرن السادس عشر ميلادي رأى البروتستانت الثائرين على الكنيسة ضرورة العناية باللغات السامية التي وردت فيها النصوص النصرانية المقدسة، ولما كانت هذه اللغات مندثرة غامضة كان لزاما عليهم أن يستعينوا على معرفة ألبازها بالإستئناس بالعربية، وكانت وعاءً مهما لمختلف العلوم، وأهم من ذلك بالنسبة للأوربيين أنها حفظت لهم الفلسفة اليونانية التي تُرجمت إلى العربية. (عميرة، 1992، ص 39-40) فاللغة العربية كانت مفتاحا لفهم النصرانية في حركة الإصلاح الديني بأوروبا التي قادها مارتن لوثر الألماني.

وفي القرن التاسع عشر ميلادي اتضحت معالم الإستشراق، إذ تتفق أغلب المصادر التاريخية والدراسات أن هذا القرن هو ذروة التطور لنشاط الإستشراق بتطلع كبير نحو الشرق، وترجمة الكتب المتعلقة به، (الحيدري، 2010، ص 52) كما تعددت المدارس الخاصة به.

4- الإستشراق وترجمة القرآن الكريم:

إن الترجمة فن تنقل معانٍ ومفاهيم أكثر منها ألفاظاً وعبارات، وقد تنحط الترجمة عن الأصل وقد تساويه أو تتفوق عليه، بحيث يصعب التفريق بين المنقول إليه والمنقول عنه، وهذا يتوقف على مهارة المترجم وتمكنه وإخلاصه أيضاً، (أبو ليلة، 2002، ص 365) وهدف كل ترجمة هو نقل المعاني من لغة إلى أخرى قصد تقريب الفهم وتسهيله لدى المتلقي بلغته، وهذا ما ينطبق على القرآن الكريم الذي بدأت ترجمته لما ظهر المنصرون والمستشرقون واطلعوا عليه واستعملوا لغته، وهم يقصدون إلى تشويبه عن طريق تقديمه إلى شعوبهم بلغة تصرف قلوبهم وعقولهم عنه، وتعزز حملاتهم الكلامية الصليبية ضده. (أبو ليلة، 2002، ص 368-369) فكانت ترجمته جزءاً من مخطط يُراد من خلاله أن تتجاوز المواجهة الثقافية ضد المسلمين صورتها التقليدية القائمة على الانفعال الخيالي والاستعاضة عن ذلك بالاتصال بالأصول الإسلامية، (عميرة، 1992، ص 37) فتعد ترجمته نقطة الانطلاق للتعرف على الإسلام من خلال نصوص الإسلام، أي القرآن نفسه وليس من خلال نصوص منتقديه ومعاديه، (رشيدي، ص 4) فنظموا أنفسهم في شكل جمعيات وأسسوا إرساليات واقتحموا أوطان المسلمين إبان الاحتلال وحاربوا لغة العرب، والتراث العربي الإسلامي. (أبو ليلة، 2002، ص 369)

وكانت أخطاء المترجمين الغربيين ومقدماتهم وتعليقاتهم على الترجمات إنما هي تجسيد حي لموقفهم المنحاز ضد القرآن ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهم إما جهلاً وإما تحريفاً يترجمون العبارات القرآنية واللفظ القرآني بألفاظ وعبارات تنحط بالعبارة عن رتبها البلاغية الإعجازية، وتنزل بها إلى مستوى بشري عادي أو قريباً منه من حيث الأسلوب والمعنى، (أبو ليلة، 2002، ص 376) فالمستشرق ابن بينته ولا بد أن يتأثر بكل ما كُتب عن الإسلام والمسلمين، وما قرأه في مجتمعه من صور باطلة وافتراءات مزيفة، فهو بسبب بينته المتشعبة بروح العداة للإسلام وتاريخه مهما حاول أن يكون متجرداً فلا بد أن ينحرف أو يشطط شعورياً أو لا شعورياً فيجتز بعض مظاهر الصورة المشوهة للإسلام من تراثه الأوربي المتراكم عبر القرون. (فوزي، 1998، ص 29)

فقد كان القرآن الكريم أكثر ما ركز عليه المستشرقون أبحاثهم، وأولوه عنايتهم دراسة و تدريساً وبحثاً ونقداً، وذلك لماله من مكانة في تاريخ الدين والحضارة الإسلامية واللغة العربية، فهو مصدر التشريع الأول في الإسلام، وهو كتاب العربية الخالد، وهو النص الذي قامت عليه الحضارة والعلوم الإسلامية، (رشيدي، ص 3) كما يمثل قيمةً للغة العربية في كل العصور ولا توجد لغة أخرى كان يمكن أن تتحملة أو تجود بمثله، (أبو ليلة، 2002، ص 379) لذلك يمكن أخذ الترجمة كنوع من التفسير لأن لفظ ترجمان القرآن يطلق على مفسر القرآن، وإذا ارتضينا الترجمة (التفسير) أمكن المترجم أن يجتهد بما يراه مناسباً ونوعية النص مع الاحتفاظ بخصوصية الرسالة الإلهية للنص القرآني، فالتفسير أو الترجمة ليست لهما درجة القدسية مثل النص القرآني في أصله العربي. (رشيدي، ص 26)

5- الإستشراق الألماني و ترجمة معاني القرآن الكريم:

أ- مميزات الإستشراق الألماني:

لقد ازدهرت المدرسة الألمانية في القرن الثامن عشر ميلادي واهتمت بالدراسات الإسلامية والعربية خاصة فقه اللغة الذي يسمح بالاطلاع على التراث الإسلامي وفهم الحضارة الإسلامية، وفي القرن العشرين بدأت الدراسات تخصص في ترجمة القرآن الكريم بدوافع مختلفة حسب التوجهات الإيديولوجية للمستشرقين، لكن أغلبهم سعى لتقديم صورة مشوهة عن الإسلام في الغرب من خلال بعض الترجمات المغلوطة، وتزويد نصارى الغرب بالحجج اللازمة من خلال النص المترجم لنتثبيت إيمانهم ومجابهة الخطر الإسلامي. (رشيدي، ص 50)

وأهم ما يميز الإستشراق الألماني مايلي (المنجد، 1978، ص ص 7-12):

- هو عدم الخضوع للسياسة كباقي بلدان أوربا إذ لم يُتَح لها أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية حيث منعتها الظروف الدولية.
- لم تكن دراسات الألمان عن العرب والإسلام متصفة على الأغلب بروح عدائية، بل غلبت عليها الروح العلمية والإنصاف والموضوعية.
- رافقت دراساتهم روح حب وإعجاب حتى أسلم بعضهم حباً في العربية والإسلام مثل "ريشر" الذي سمي نفسه عثمان، و"أوغست ملر" الذي سمي نفسه امرؤ القيس .
- المنهج العلمي الدقيق رغم وجود بعض النقص لكنهم عملوا بحب وحماسة، وقد استدرك بعضهم على بعض وصحح بعضهم أخطاء بعض.

ب: أساليب الإستشراق الألماني في ترجمة القرآن الكريم:

كانت أول ترجمة ألمانية للقرآن الكريم لسالمون شفايجر (Salomon shweiggern) سنة 1616 في مدينة نورنبرغ الألمانية، (رشيدي، ص 5) بعنوان "القرآن المحمدي" في ثلاث مجلدات، (شوق، 2007، ص 65) وطبعت طبعة ثانية سنة 1623، وكانت هذه الترجمة مأخوذة عن الترجمة الإيطالية والتي أخذت عن الترجمة اللاتينية وليس الأصل العربي كما ادعى أريفايني (Arrivabene) سنة 1547 عندما ترجم القرآن الكريم إلى الإيطالية، (بدوي، 1993، ص 443) والترجمة عن الترجمة تزيد من ضياع المعاني والصور أثناء رحلة النص من لغة إلى أخرى، ولا بد للمترجم أن يضع فيها نفسه فيصيب النص ببعض التغيير.

وأقدم ترجمة ألمانية عن النص العربي مباشرة عي ترجمة دافيد فريديرش (David friedrich) الأستاذ بجامعة فرانكفورت سنة 1772 بعنوان الكتاب المقدس التركي الإسلامي، (بدوي، 1993، ص 444) وفي السنة الموالية ظهرت ترجمة ألمانية أخرى عن الأصل العربي قام بها فريديرش أبرهاردبويزن (Friedrich eberhardboysen) بمدينة هالة الألمانية، وكانت ترجمة العنوان هي: القرآن أو التشريع عند المسلمين لمحمد بن عبد الله مع بعض الدعوات (الصلوات) القرآنية الاحتفالية، (بدوي، 1993، ص 444-445) والملاحظ على مع معظم الترجمات أنها تنسب القرآن الكريم إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام لتعطيه الصفة البشرية وتجرده من الصفة الإلهية، وهذا ما يعكس خلفيات دراسة المستشرقين للقرآن الكريم لأجل انتقاده والانتقاص من شأنه فوجد عناوين لعدة ترجمات مثل: الدين المحمدي أو الكتاب المحمدي وغيرها.

ومن بين أساليب الاقتراء على النص القرآني من خلال الترجمة في ألمانيا نجد (رشيدي، ص 9):

- الاقتباس الجزئي المخل للصورة الشاملة مما يضيع المعنى ويشوّه المقصود.
- نزع بعض الآيات من سياقها العام أو الخاص لإعطاء صورة ناقصة حول تفسيرها.
- استنتاج حكم عام من آيات متخصصة لحكم محدد وهذا فيه تحريف للمقاصد حسب أهواء المترجمين.
- تجاهل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وهذا لأجل إثارة الشبهات حول الإسلام والقرآن الكريم وتثبيت الادعاء ببشريته.
- محاولة البعض البحث عن القراءات الشاذة واتخاذها ذريعة لإيجاد الشك في توثيق ومصدرية القرآن الكريم.

- الادعاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على كتب اليهود وأخذ منها ما يهيمه. (شوق، 2007، ص 70)

ج- نمــــاذج من المستشرقين:

- أنجليكانوريث (Angélikaneuwrith): درستفي برلين وتخصصت في تاريخ اللغات السامية، وبعد حصولها على شهادة الدكتوراه سنة 1972 اتجهت للدراسات الإسلامية، مديرة وحدة التكوين في اللغة العربية بجامعة برلين 1991، مديرة المعهد الشرقي الألماني (1994-1999)، خصصت جزءا وافرا من تأليفها للقرآن الكريم، تميز أسلوبها بـ:

- دراسة أسلوب وتركيب السور.

- الترويج لكتابات بعض المنتمين للعالم الإسلامي ممن حذوا حذو المستشرقين في النيل من القرآن الكريم.

- الادعاء بأن الشريعة الإسلامية تطورت عن سابقتها مثل الصلاة بركوعها وسجودها، وأن بعض أحكام الإسلام منتحلة من شعائر الأديان السابقة وأن القرآن سعى لتثبيتها. (هرماس، ص 137-139)

- رودى بارت (Rudi paret): (1901-1983) أستاذ في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن، عمل في جيش رومل بليبيا وأسر بين (1942-1946)، أستاذ الإسلاميات والساميات في جامعة توبنجن حتى تقاعده سنة 1968، تميز أسلوبه في الترجمة بـ: (بدوي، 1993، ص 62)

- ترجمة القرآن الكريم حسب الترتيب العثماني ولم يقم بتقطيع القرآن والتفريق بين سوره اعتباريا.

- التزام الدقة حتى جاءت على حساب الأناقة في العبارة الألمانية.

- التعلق بالنص كما هو في أبسط فهم له ووضع توضيحات بين قوسين للعبارات غير الواضحة.

- وضع تعليقات في بعض الآيات وتزويدها بمختلف الدراسات التي تناولتها لتسهيل البحث لمن يريد الاستزادة في التوضيح.

- أثقل النص المترجم في اللغة الهدف (الألمانية) بجملة من الشروحات والتعليقات مما جعلها تخاطب القارئ المتخصص أكثر من الجمهور العادي، وترجم أغلب معاني المفردات بطريقة حرفية ومعنوية في آن واحد وهذا ما ساعد على غرابة النص وصعوبة تلقيه، ويظهر هذا من خلال الترجمة العكسية التي تعطي فكرة خاطئة عن القرآن. (رشيدي، ص 13-14)

- هانز تسيركر (Hans zirker): أستاذ اللاهوت وعلوم القرآن بجامعة آيسن، له كتاب "القرآن- مدخل وقرآيات" سنة 1999، وتميز أسلوبه بـ: (رشيدي، ص 15-16)

- حاول توظيف الدراسات اللغوية القرآنية الحديثة لفهم النص القرآني بشكل أفضل بتعامل خاص مع المصطلحات الجوهرية في القرآن الكريم.

- اعتماد اللغة الألمانية الأدبية المفهومة لتقريب المعنى.

- الاعتماد على عناصر الإخراج الطباعي مثل فصل فعل القول عن مقول القول وعمل مسافات معينة بين أجزاء النص، وإفراد بعض الكلام بسطر جديد للتركيز عليه بغرض تقريب المعنى.

ويظهر من خلال الترجمة العكسية وضوح النص في اللغة الهدف بشكل مختصر ومفيد دون إطناب.

- ماكس هيننج (Max henning): تعتبر ترجمته الصادرة سنة 1901 أهم ترجمة للقرآن الكريم (رشيدي، ص 5)، أعيد طبعها عدة مرات 1960، 1968، 1998، وتميزت بـ: (رشيدي، ص 11)

- المحافظة على القرب من معاني القرآن الكريم.

- بساطة لغة الترجمة وتجنب التكلف.

- المحافظة على بساطة العبارات بما يناسب اللغة الألمانية.

- استخدام تعبيرات ألمانية لتفي بالمعاني العميقة.

- ترجمة جميع الكلمات المتشابهة ترجمة موحدة حيثما وردت بغض النظر عن السياق وهذا مما يخل بالمعنى و يوقع في الخطأ.

- هانز فيرمير (Hans vermeer): يعتمد في الترجمة على النظرية الوظيفية أي وظيفة النص في اللغة المصدر وإمكانية نقل تلك الوظيفة في اللغة الهدف، فلا يمكن للمترجم أن يوصل كل ما في القرآن من معنى مهما أوتي من قوة، فهو كلام الله المعجز في مبناه و معناه، ولذلك يجب نقل الوظيفة إلى اللغة الهدف ومخاطبة المتلقين في فكرهم قبل لغتهم بما لا يتعارض وأصول القرآن الكريم، وينبغي التركيز في الترجمة على احتياجات المتلقي التي نوصّلها في اللغة الهدف. (رشيدي، ص ص 26-29)

خاتمة

إن الاستشراق كأسلوب فكري ومعرفي ساهم مساهمة فعالة في التعريف بالتراث العربي الإسلامي وحفظه من الضياع تحت الظروف المختلفة التي مر بها العالم الإسلامي رغم الأهداف المتعددة من وراء ذلك، وفي مجال ترجمة معاني القرآن الكريم فإن المستشرقين لم يتخلوا عن النزعة الصليبية في ضرب مصدريته والتشكيك في ألوهيته حيث نعتوه بالكتاب المحمدي ذو التعاليم البشرية رغم ادعاء البعض بالموضوعية والتجرد، وهو ما يعكس الصورة الثقافية والحضارية للصراع الذي بدأ منذ ظهور الإسلام، وتعتبر المدرسة الاستشراقية الألمانية من أكثر المدارس موضوعية في ترجم القرآن إذ ما قورنت ببقية المدارس.

قائمة المراجع:

- أبو ليلة محمد محمد، 2002، القرآن الكريم في المنظور الإستشراقي، دراسة تحليلية نقدية، ط1، مصر، دار النشر للجامعات.
- بدوي عبد الرحمن، 1993، موسوعة المستشرقين، ط1، بيروت، دار العلم للملايين.
- الدليمي خميس سبع، 2010، «موقف المستشرقين في القراءات القرآنية»، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، جامعة كركوك، ع 2، م 5، ص 1-15.
- هرماش عبد الرزاق بن اسماعيل، «الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس عشر هجرة»، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، جامعة ابن زهر، المغرب، ع 6، ص 95-150.
- الحيدري زهير يوسف عليوي، 2010، «جهود المستشرقين في دراسة تأريخ التصوف الإسلامي»، مجلة أوروک للأبحاث الإنسانية، جامعة القادسية، م 3، ع 3، ص 50-63.
- المنجد صلاح، 1978، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، بيروت، دار الكتاب الجديد.
- النعيم عبد الله محمد الأمين، 1997، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لأراء (وات، بروكلمان، قلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ط 1، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
- عمایرة إسماعيل أحمد، 1992، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ط 2، الأردن، دار حنين.
- عويمر مولود، 2013، مقاربات في الاستشراق والاستغراب، ط 1، الجزائر، جسور للنشر و التوزيع.

-
- فوزي فاروق عمر، 1998، الإستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ط 1، لبنان، منشورات الأهلية.
- رشيد محمد محمد حجاج، 2012، مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريات الترجمة الحديثة.
- شوق شاكر عالم، 2007، «ترجمة معاني القرآن الكريم ودور المستشرقين فيها»، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونج، بنغلادش، مج 4، ص 57-74.